لغة الشعر العربي القديم

المدرس المساعد : رواء جواد ابراهيم

raw86jawaj@uomustansiriyah.edu.iq

تعد اللغة الوسيلة التي يستخدمها الفرد للتعبير عما يجول في أعماقه من أحاسيس ونقل تجربة شعورية معينة يسعى عن طريقها للوصول إلى الذات الإنسانية، وتعرف اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراض، أما في الشعر فهي تتجلى في قدرة الشاعر على توظيف موهبته الشعرية واللغوية ويكون ذلك عن طريق تلاحم الأفكار، وحسن الاختيار، وصياغة الألفاظ، والتعبير بواسطة عن الذات والوجدان، ونجد آثار هذه المقولة موجودة في تراثنا النقدي فقد أشار إليها سيبويه (180هـ) بقوله: "يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام؛ فاللغة عنده محكمة ببناء موسيقي لا يجوز الخروج عنه، وتعدد الآراء والطروحات في مفهوم الشعر ولغته، فذهب الجاحظ (256هـ)، إلى أن الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير، فهو يشبه الشعر بالنسيج الذي تتألف خيوطه وتنتظم لتنتقل أروع الصور عن طريق خيال الشاعر ومقدرته على توظيف التشبيهات والاستعارات في بناء نصه الشعري، ورأى أن أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ فراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان، مؤكداً على أهمية اللفظ في الشعر بقوله: المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي؛ فهو بذلك يركز على الاهتمام بعناصر البناء الشعري والبأس المعنى اللفظ الحسن، والوزن الملائم، والسبك الجيد.

أما ابن طباطبا العلوي (322هـ): فرأى أن الشعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطبتهم بما خص به من النظم، الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد عليه الذوق، إذ ميز بذلك الشعر عن النثر المتبادل بين الناس، فهو عنده كلام مضبوط بمقاييس معينة تميزه عن غيره من الكلام. أما قدامة بن جعفر (337هـ) فقد تحدث عن صناعة الشعر بقوله: ولما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال؛ إذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة وحدوده بينهما تسمى الوسائط.

أما أبي هلال العسكري (395هـ) فرأى أن على الشاعر أن يبرئ نفسه جيداً قبل والولوج في إنتاج النص الشعري، عن طريق استحضار المعاني، واختيار الوزن الملائم والقافية المناسبة، ورأى أنه يجب أن تجري مع الكلام معارضة، فإذا مررت بلفظ حسن أخذت برقبته، أو معنى بديع تعلقت بذيله، وتحذر من أن يسبقك فإنه إن سبقك تعبت من تتبعه؛ وذلك لأن من المعاني ما يمكن نظمه في قافية، ولا يمكن نظمه في أخرى، أو تكون هذه أقرب للمعنى من تلك، أما عبد القاهر الجرجاني (471هـ) فرأى أن شعرية النص تكمن في النظم والذي يعني به الكلام الذي يكون بعضه جزءاً من البعض الآخر، وأكد على أهمية جانب التصوير؛ إذ وجد أن الصورة هي نتاج التفاعل بين اللفظ والمعنى، فالشاعر عنده في علاقته باللغة كالصائغ الماهر، فهو الذي

يعيد نسج الألفاظ؛ لأنها موجودة منذ البداية شأنها شأن المادة الأولية لدى الصائغ؛ وبذلك فإن اللغة عنده مجموعة من العلاقات وليست ألفاظ أو معان فقط .

أما حازم القرطاجني (684هـ)، فقد عرفَ الشعر بقوله بأنه: "كلام موزون مقفى، من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكرهه لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف كلام، أو قوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقتزن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس، إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثيرها.

أما عناصر الشعر التي تحقق له غايته في التأثير، فيجدها القرطاجني، بحسن التخييل المحاكاة والغرابة بقوله: "أفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيئته، وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه وقامت غرابته... وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب خالياً من الغرابة؛ فالتخييل بوصفه قوة ذهنية تتولد في ذهن المتلقي، فهو يقع عنده بأقسام متعددة، بقوله: "التخييل في الشعر يقع في أربعة أنحاء: من جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب، ومن جهة اللفظ، ومن جهة النظم والوزن وهذه الأنحاء ليست متساوية فيما بينها؛ فهناك تخييل ضروري، وتخييل مستحب، فالأول متصل بالمعاني والألفاظ، والآخر متصل بالأسلوب .

نستنتج من كل ما سبق أن الشاعر بقدر ما يتميز في خلق لغته يتجلى إبداعه؛ إذ إن عملية الخلق عنده لا تقتصر على الأفكار والصور فحسب؛ بل تتعدى إلى خلق ألفاظ أو كلمات تُظهر الإبداع اللغوي لديه، ومن هنا اكتسبت اللغة بآلياتها الشعرية هذه الأهمية والمكانة؛ لأنها تجربة لغوية إبداعية بإتقان.

=====